مـــادة: تاريخ العلاقات الدولية (محاضرة)

مقدمة

يعالج هذا المساق العلاقات الدولية من القرن السابع عشر الى نهاية القرن العشرين ، بدء من معاهدة وستفاليا سنة 1648 التي جاءت بعد سلسة من المنازعات والحروب الطاحنة، والتي أسست لنوع جديد من العلاقات القائمة على قاعدة التعاون المشترك بدلا من سياسة القوة والاخضاع والسيطرة ، غير أنه

لم يمض وقت طويل حتى عصفت بأوروبا مجددا العديد من المتغيرات ، متأثرة بالفكر العارم الذي اشاعته الثورة الفرنسية سنة 1789و التي قلبت الكثير من المفاهيم وغيرت الكثيرمن القيم في اوساط الشعوب والمجتمعات الاوروبية اتي كانت ترزح تحت حكم الاقطاع والامراء ، وبذلك ساد تياران اساسيان ، الاول قاده الفكر التحرري متأثرا بما نادت به الثورة في فرنسا ، والثاني قادته الاقطاعيات المحافظة الهادفة الى الحفاظ على التوازنات المعهودة.

ويذكر المساق الحروب التي تؤدي الى تحالفات وموازين جديدة ، متوقفين عند اهم الحروب ومنها حروب نابليون ، غير أن هزيمته كانت مناسبة هامة لإعادة صياغة الواقع الاوروبي من جديد على قواعد واسس تراعي المتغيرات الحاصلة على الارض ، ولذلك شهدت فترة ما بعد الحروب عقد العديد من المؤتمرات الدولية ، حيث أبحت الدول تلجأ اليها لحل نزاعاتها العالقة ،فتداعت الدول المنتصرة الى عقد مؤتمر فيينا وغيره من المؤتمرات التي اسست لمرحلة جديدة ايضا من النظام الدولي .

تتمثل الأهداف من دراسة تاريخ العلاقات الدولية من القرن السابع عشر إلى القرن الواحد والعشرين في:

. الأهداف المعرفية : تتمثل في:

. دراسة تداعيات نظام الدول القومية بعد معاهدة وستفاليا .

. معرفة العلاقات الدولية عشية عام1789.

. دراسة تداعيات نظام الدول القومية بعد معاهدة وستفاليا .

. دراسة ملامح النظام الدولي في فترات زمنية مختلفة .

. القدرة على ربط التطورات الاقتصادية والسياسية في أوروبا مع تداعيات السلام والتوازن الدولي الذي كان سائدا في اوروبا في القرن التاسع عشر.

. معرفة اشكالية دراسة العلاقات الاوربية وفق التغيرات القومية في القرن التاسع عشر

. الوقوف عند العلاقات السلمية والحربية وشرح ظواهر التفكيك وإعادة التركيب والتشكيل في العلاقات الدولية من القرن التاسع عشر إلى القرن الواحد والعشرين .

. دراسة التحولات في وحدات وموضوع العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة .

. إبراز أثر عنصر الهوية والعامل الثقافي في السياسة العالمية.

ـ الأهداف المهاراتية الخاصة بالمقرر، فتتمثل في :

– القدرة على تحديد الاشكاليات الاقتصادية واثرها عل الواقع السياسي في فترات زمنية مختلفة

. القدرة على ربط وتحليل المتغيرات مع الاسس التي اوجدتها طبيعة العلاقات الدولية في مراحل تاريخية متباينة .

– القدرة على تحديد المعطيات وربطها على الاسباب والنتائج.

. الوصول بالطالب إلى درجة من الوعي والسياسي والفكري والتاريخي لتحليل الأحداث والتطورات التي تقع في العالم في العصر الحديث والمعاصر ومحاولة الحكم عليها بموضوعية.

–اطلاع الطالب على أهم المشاكل والقضايا الدولية والحديثة والمعاصرة التي تؤثر وتتأثر بالعلاقات الدولية الحديثة وأهم الحلول التي وضعت من أجل حلها.

. اطلاع الطالب على مفهوم العلاقات الدولية من الناحية السياسية، والعوامل التي تتحكم في تطور تلك العلاقات في كل المجالات من كل الجوانب .

وتتطلب دراسة ذا المساق معارف مكتسبة للطالب في الفلسفة والاقتصاد والتاريخ المعاصر والمفاهيم الادارية والقانونية والتكوينات ذات الصلة التي تساعد على دراسة العلوم السياسية.

مادة: تاريخ العلاقات الدولية (محاضرة)

المحـــاضـرة رقم 01

المحور الأول: العلاقات الدولية من معاهدة وستفاليا إلى معاهدة فيينا1815

. أولا: مؤتمر وستفاليا

شكل القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر مرحلة مهمة في تاريخ أوروبا شهدت

هذه الفترة تطورات خطيرة في مجال السياسة والحرب والمجتمع ، تجسدت في سياسة لويس الرابع عشر في فرنسا ، ومواقف عائلة ستيوارت ملوك إنجلترا ، والنهضة الاقتصادية لهولندا بعد تحريرها من حكم امبراطور إسبانيا فيليب الثاني ، ونمو البرجوازية الحضرية ، فضلا عن تطور جهاز الدولة الإداري والعسكري ، تسارع تفكك النظام الإقطاعي ، ولادة النظام الرأسمالي نتيجة الاستكشافات الجغرافية وتطور وسائل إنتاج،ولعلّ من بين أهمّ المبادئ البروتستانتيّة المساهمة في إضعاف السّلطان الكنسي والتي روّج لها مارتن لوثر ومن بعده أورليخزوينجلي وجون كالفن، هي أحقيّة كلّ مؤمن في التّواصل مع الله مباشرة دون وسيط، وأنّ السّيد المسيح جعل جميع المؤمنين كهنة لله، وكلّ من يتوب إلى الله توبة صادقة ينال الغفران دونما حاجة إلى صكوك بشريّة وأدت كذلك الى نهاية وحدة العالم الأوروبي دينيا مشكلة خريطة جديدة تقوم على النحو التالي:[1]

. دول سادت فيها اللوثرية في كل من ألمانيا واسكندنافيا.

. الإنجليكانية في كل من بريطانيا وسويسرا.

. الكاثوليكية في فرنسا وإسبانيا.

. أ . حرب الثلاثين سنة:

ساد الاقتتال الطائفي في أوروبا إثر الحروب الدينية أو حرب الثلاثين سنة 1618 . 1648،أو كما سماها بعض المؤرخين بالأزمة العامة للقرن السابع عشر، وتعود أسباب هذه الحرب إلى سلم "أكسبرج" 25سبتمبر 1555 الذي اعترف بالتعايش بين الكنيستين اللوثرية والكاثوليكية ولم يعترف بالكالفنيين إلا سنة 1648، فكان بذلك هدنة مؤقتة بين الطائفتين،إلا أنه في ظل تصاعد الانتقاد

[1] شلبي رؤوف: أضواء على المسيحية، لبنان ، المكتبةالعصرية، 1975، ص56.

البروتستانتي لسيادة الكنيسة من جهة وتعصب الملك فرديناند للكاثوليكية من جهة أخرى جعل ذلك كل من إمبراطورية هبسبورغ والبابوية تسعيان للقضاء على التحدي الموجه لسلطتهما.[1]

بدأت الحرب عام 1618م بثورة البروتستانت في بوهيميا (التشيك الآن) على الإمبراطور النمساويفأعطى الملك فرديناند أوامر بهدم كنيستين لوثريتين سنتي 1617 . 1618في بوهيميا، فكان رد البوهيميين، الهجوم على قلعة براغ مقر الحكومة وألقوا القبض على رجال الحكومة أما الوفد الذي أرسله فرديناند لهم فقد تم الإلقاء بعم من النوافذ، ونجم عنه تحرك قوى الإمبراطورية لسحق تمرد بوهيميا، فاندلعت حربا دمرت وسط أوروبا وتحول النزاع الديني في بوهيميا ذات الأغلبية البروتستانتية إلى صراع عالمي متحولا من حروب دينية إلى حروب سياسية شاركت فيها الإمبراطورية الرومانية في مواجهة كل من الدانمرك والسويد وفرنسا.

جرت هذه الحرب أساسًا على أرض الإمبراطورية الرومانية المقدَّسة (النمسا وألمانيا). كانت البداية بين البروتستانت والكاثوليك بعد محاولة الإمبراطور الكاثوليكي النمساوي فرديناند الثاني Ferdinand II فرض الكاثوليكيَّة على كامل الإمبراطوريَّة، ولكن تطوَّرت الحرب بعد ذلك إلى حربٍ سياسيَّةٍ بحتة دخلت فيها عناصر أوروبية كثيرة تحرص كلٌّ منها على فرض هيمنتها على السياسة الأوروبية بشكلٍ عام. بدأت الحرب عام 1618م بثورة البروتستانت في بوهيميا (التشيك الآن)على الإمبراطور النمساوي.[2]

وانقسمت إلى أربعة ادوار أو مراحل التي تمثلت بالاتي:

1-الدور البوهيمي1618 م -1623م

2-الدور الدنيماركي1625م -1629م

3-الدور السويدي 1630م -1635م

4-الدور الفرنسي -السويدي 1635م -1648م

خربت حرب الثلاثين عاما أوروبا ، فقد رأينا كيف أن الحرب بدأت كنزاع ديني بين الكاثوليك والبروتستانت ، انتهت كنتيجة للاستنزاف والإفلاس والتناقص الفعلي للسكان في أوروبا في أوروبا لدى الطرفين ، حيث نهب وخرب الأمراء وجيوش المرتزقة مشهد وسط أوروبا وخاضوا مشهد وسط أوروبا

[1] محمد محمدصالح ، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية 1500. 1789،بغداد ، 1982، 287.

[2] براون، جفري: تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة: علي المزروقي، عمان-الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، 2006.ص 253.

وخاضوا معارك متكررة وفرضوا حصارات وحشية وعجزوا في تموين ساحة المعركة إلا بنهب السكان المدنيين[1]

وتجلى لنا التأثير العميق للاتفاقية على ممارسة العلاقات الدولية في النقاط التالية :[2]

. أولا ، تم بناء النظام العالمي على وفق أقطاب متعددة أطلق عليه اصطلاحا "توازن القوى"، هذا النظام الذي يمكن ان نطلق عليه النظام الإقليمي الدولي استمر إلى حقبة الحرب العالمية الثانية، 1648 م فصلح وستفاليا أسس لأن تكون الحدود الجغرافية بديلا عن نفوذ الملوك والأباطرة والكنيسة، وأن يكون الكيان داخل هذه الحدود هو رمز الانتماء وليس الدين ولا التبعية للأمراء والملوك، ومن هنا ظهرت بدايات مفهوم الدولة الوطنية (Nation State) أو "الدولة القُطرية"، فقد ظهرت مجموعة مركزية من الدول التي سيطرت على العالم حتى نهاية القرن التاسع عشر وهي :النمسا ، روسيا ، بروسيا (ألمانيا)، إنجلترا ، فرنسا ، والأقاليم المتحدة التي تشكل الان هولندا وبلجيكا .

. ثانيا ، تبنت الاتفاقية فكرة السيادة ، حيث أحرزت كل الدول الصغيرة وسط أوروبا السيادة واحتضرت الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، فقد فاز الملوك في الغرب بالسلطة ليقرروا أية نسخة من المسيحية هي المناسبة لشعوبهم و قد عنى ذلك أن كل أو ملكة ،وليست الكنيسة ما فوق الأمة ،فامتلك السلطة الدينية على شعبه أو شعبها، كما تمّ تجريد كل من البابا والإمبراطور من السلطة ،فبرزت إثر ذلك فكرة أراضي الدولة وحق الدول في اختيار دينها ، بل حتى إمكانية الدول في تقرير سيادتها الوطنية ومن ثمّ التحرر من الضغوطات الخارجية ، أي سيادة قضائية كاملة على أراضيها ،هذا بالإضافة إلى حق عدم التدخل في شؤون الدول الأخرى .

. ثالثا ، تنبه قادة أوروبا الأكثر قوة ،إلى الخراب الذي طال بلدانهم بسبب المرتزقة ، وهو ما جعلهم بعد اتفاقيات وستفاليا ينشئون جيوش وطنية خاصة دائمة ، مما أدى إلى بروز الدولة ذات الجيش الوطني واكتسبت الدول الأكبر أفضلية عندما أصبحت الأسلحة أكثر انتشارا وأكثر فتكا.

. رابعا ، شكلت معاهدة «وستفاليا» عام 1648، اتجاهاً جديداً في العلاقات الدولية، و تأطيراً لنظرية الأمن الجماعي الأوروبي، والتي استقت مبادئها من وحي الأديان وكتابات المفكرين، والفلاسفة

[1] كارين أ.منغست ،إيفان م.أريغوين ، مبادئ العلاقات الدولية ،تر حسام الدين خضور ،دمشق ،دار الفرقد ، 2013، ص42.

[2] كارين أ.منغست ،إيفان م.أريغوين، المرجع السابق ، ص ص 42. 43.

الذين تأثروا بفلسفة اليونان المثالية خصوصاً افلاطون في كتاب «الجمهورية»، وتوماس مور في كتابه »اليوتوبيا» وغيرهما[1].

إذا كانت هذه أهم تأثيرات وستفاليا على العلاقات الدولية ، نشير إلى الدول والأطراف الموقعة على الاتفاقية والمكان الذي انعقد فيه الاتفاق ، اتفق فرديناند الثالث عن الإمبراطورية الرومانية المقدسة ولويس الثالث عشر ملك فرنسا وكريستينا ملكة السويد على عقد مؤتمر وستفاليا نجم عنه التوقيع على معاهدتي السلام في بلدتين مختلفتين لأسباب دينية:

. في مدينة أوزنبوركOsnabrück بتاريخ 15 ماي 1648 اجتمع ممثلو القوى البروتستانتية

. في مونستر Munsterبتاريخ 24 أكتوبر 1648 اجتمعت القوى الكاثوليكية

نجم عن ذلك الصلح تدشين السلام الوستفالي الذي ساد الفترة مابين 1648 إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى، وقد جاء بمبادئ سياسية جديدة، نلخصها في النقاط التالية:

. إقرار مبدأ التعايش والتسامح الديني بين الكاثوليك والبروتستانت ونهاية سلام أكسبورج وإسقاط سلطة البابا.

. أدخلت المعاهدة نظاما مبنيا على سيادة الدول الكاملة والمطلقة على أراضيها ورفض تدخل أية دولة في شؤونها الداخلية وأن الدول متساوية فيما بينها،مما أدى إلى تقديم مفهوم جديد للدولة الحديثة سبق الإشارة إليه في محاضراتنا في مقياس الفكر السياسي الحديث ،وأفرز التعايش بين سيادات الدول الوطنية أو كما سماه "برتراند بادي "الإمتثاليةالوستفالية التي أدت إلى انتشار الاستقرار النسبي عدا في فترة الحروب النابليونية ، وبذلك أنشئت الدولة الإقليمية ذات السيادة القومية.

. رسخ مؤتمر وستفاليا مفهوم التمثيل الدائم للبعثات الدبلوماسية وعمل على استقرار هذا النظام وذلك ترسيخا للأمن والسلم والاستقرار في أوروبا خاصة وفي العالم عامة، وذلك لما للمبعوث الدبلوماسي من أهمية ودور في المحافظة على العلاقات الدافئة والحميمة بين الدول.[2]

[1] نيقولو مكيافللي، الأمير ،تعريب خيري حماد، مكتبة التحرير، بغداد الطبعة التاسعة 1988 – ص 243.

[2] هايل عبد المولى طشطوش،الدبلوماسية ودورها فيإدارة العلاقات الدولية،ورقة مقدمة الى مؤتمر العلاقات العامة (فنون ومهارات)بتاريخ 31أكتوبر 2009 ، ص 3.

. إقرار مبدأ توازن القوى باعتباره وسيلة لضمان السلام من خلال ردع الدولة التي تسعى إلى التوسع على حساب الدولة الأخرى، وكان توازن القوى بين مجموعة من الدول الرئيسية الأوروبية وهي:بريطانيا، النمسا، فرنسا، روسيا وبروسيا.

هكذا شكل مؤتمر وستفاليا بداية لما عرف فيما بعد بدبلوماسية المؤتمرات . التي سنتطرق إليها في المحور الثاني . التي اتخذت صورة اللقاءات بين الملوك والأمراء لتبادل وجهات النظر، فكان بذلك أول اجتماع عقد بينهم في هيئة مؤتمر أدى إلى تأسيس الدول القومية العلمانية ومن ثم علمنة العلاقات الدولية، ونلخص أهمية هذه المعاهدة في النقاط التالية :[1]

1 .تعد فاتحة لما سمي فيما بعد بدبلوماسية المؤتمرات التي اتخذت صورة مقابلات بين الملوك والأمراء لتبادل وجهات النظر، فصلح "وستفاليا" كان نتيجة لأول اجتماع عقد بين الملوك والأمراء في هيئة مؤتمر.

2.أقرت مبدأ المساواة بين الدول دون النظر إلى نظمها الداخلية، أو نظمها الدينية فكانت هذه المعاهدة بمثابة الخطوة الأولى نحو تثبيت علمانية العلاقات السياسية الدولية.

3.أقرت نظام إحلال البعثات الدبلوماسية الدائمة محل البعثات الدبلوماسية المؤقتة وهذا القرار أدى فيما بعد الى إقرار القواعد الدبلوماسية المتمثلة بالحصانات والامتيازات الخاصة برجال السلك الدبلوماسي والتي لم تكن معروفة من قبل.

4.أقرت فكرة توازن القوى بين دول أوروبا باعتبارها وسيلة لصيانة السلام وذلك من خلال ردع الدولة التي تسعى إلى التوسع على حساب دول أخرى، والحيلولة دون هذا التوسع لكي لا يختل توازن القوى بين الدول.

لقد وضعت هذه المعاهدة القواعد والأسس لقيام الأمن الجماعي واتخذت العلاقات الدولية بعدها اتجاه التعاون والمشاركة بدلاً من السيطرة والاخضاع، وأهم ما أوجدته المعاهدة ما يأتي[2]:

-اجتماع الدول لأول مرة للتشاور وحلّ مشاكلها على اساس المصلحة المشتركة.
-إقرار المساواة بين الدول المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية، وإلغاء سلطة البابا الدنيوية.
-إرساء العلاقات بين الدول على أساس ثابت بإقامة سفارات دائمة لديها.

[1] عدنان طه مهدي الدوري العلاقات الدولية المعاصرة،لبنان، منشورات الجامعة المفتوحة،دار النسيم والشركة العالمية للطباعة والنشر،ص16.

[2] القانون الدولي العام، علي صادق ابو هيف، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، الطبعة الحادية عشرة، 1975، ص ص 44. 48.

-اعتمدت فكرة التوازن الدولي كأساس للحفاظ على السلم وردع المعتدي.
-التأسيس لفكرة تدوين القواعد القانونية و إلزاميتها.

وبعد مؤتمر وستفاليا تعاظمت قوة فرنسا، إلى الإخلال بهذه المعاهدة، فتكاتفت وتجمَّعت في حرب ضد فرنسا لويس الرابع عشر، انتهت بعقد معاهدة "أوترخت "العام 1713, باعتبارها جزءًا من تسوية حرب الخلافة الإسبانية . التي أكدت على مبادئ معاهدة "وستفاليا" بإعادة تنظيم أوروبا، وقد وقعت بين ممثلي الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا وممثلي الملك فيليب الخامس ملك إسبانيا من جهة، وبين ممثلي الملكة آن ملكة المملكة المتحدة ودوق سافوي من النمسا وممثلي جمهورية هولندا من جهة أخرى.وفي تلك المعاهدة تنازلت إسبانيا لبريطانيا العظمى عن «كامل ملكية مدينة وقلعة جبل طارق، إلى جانب الميناء والحصون والقلاع التي تنتمي إليها.. إلى الأبد، دون أي استثناءات أو عوائق على الإطلاق

وتعود أسباب هذه الحرب الى وفاة تشارلز الثاني ، آخر ملوك إسبانيا لبيت هابسبورج ، في 1 نوفمبر 1700 بسبب المرض، ونتيجة لذلك ترك العرش الإسباني بدون وريث و قبل عدة سنوات من وفاته ، أصبحت مسألة خلافة العرش مشكلة دولية ، فقد ادعى كل من الملك لويس الرابع عشر ، من منزل بوربون والإمبراطور ليوبولد الأول من الإمبراطورية الرومانية-الجرمانية المقدسة ، في منزل هابسبورج ، حقوق الخلافة الإسبانية هذه حيث كان كلاهما زوجات أخوات الملك تشارلز الثاني ، فقد كانت نية لويس الرابع عشر للسيطرة على العرش بحيث احتلها حفيده فيليب ، دوق أنجو و من ناحية أخرى ، أراد ليوبولد أيضًا أن يأخذ التاج ابنه كارلوس، فقد ترك الملك تشارلز، وصية ليتولى بمقتضاها العرش الاسباني أمير فرنسي من انجو، هو الأمير فيليب، ولأن الأمير فيليب هو حفيد الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا،خشي كل من ليوبولد الأول والدول الأوروبية الأخرى ،أن يصبح اتحاد إسبانيا وفرنسا أكثر قوة و بدعم من إنجلترا وهولندا،قررليوبولد الأول خوض الحرب ضد فرنسا.